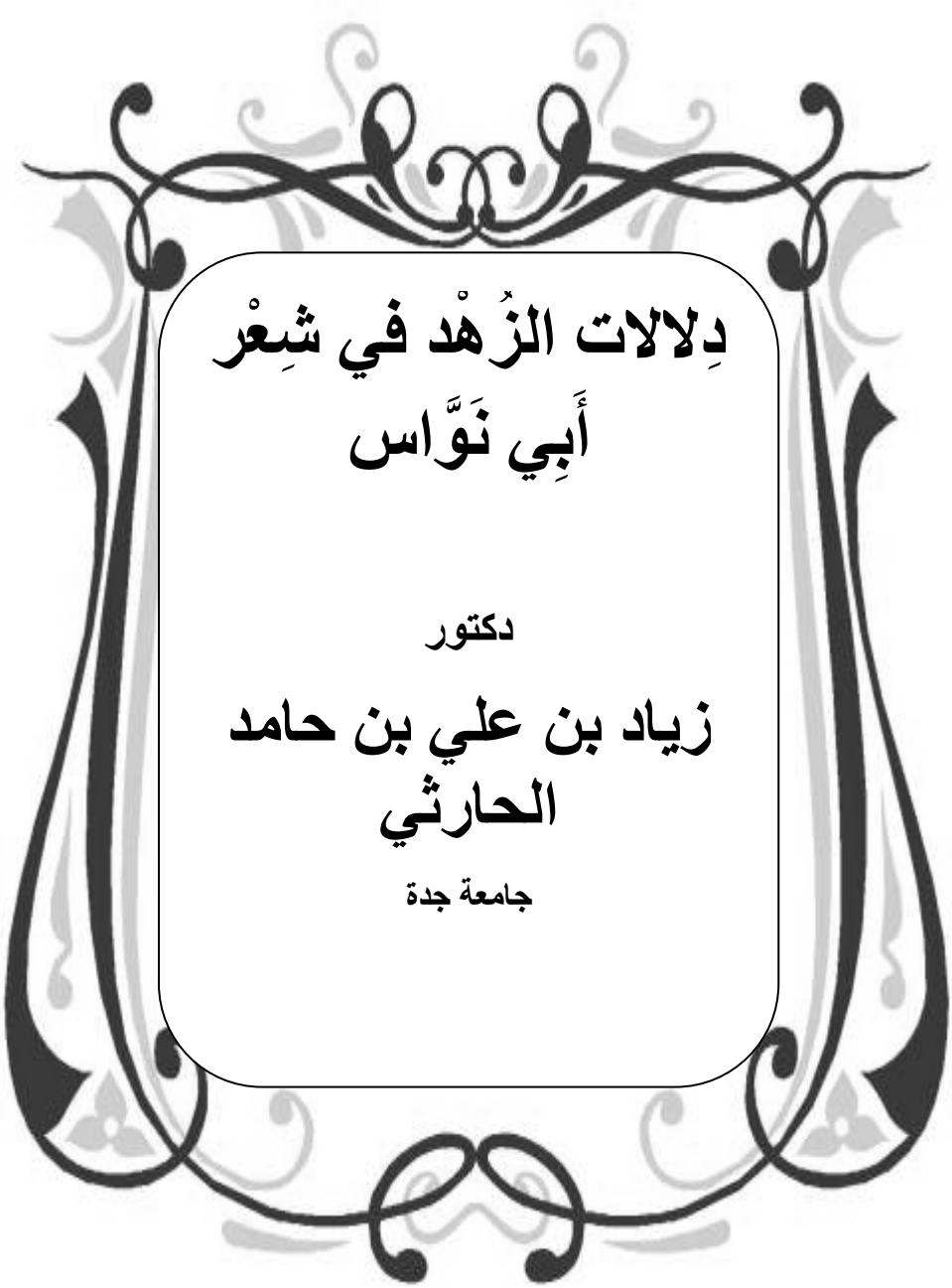

دِلالات الزُهْد في شِعْر أَبِي نَوَّاس

دكتور

زياد بن علي بن حامد الحارثي

جامعة جدة

الملخص

تسعى هذه الدراسة الى العكوف على الموضوعات الزهدية التي طرقها الشاعر أبو نواس، كالمناجاة لله تعالى، والتفكر والتدبر، والموت والآخرة، والندم على المعصية، والاتعاظ بالزمن وذم الدنيا والإقبال على الآخرة، مخرجاً بهذه الدراسة شاعرنا من دائرة شعراء الكفر والمجون والخمر إلى دائرة التائب الراجي عفو ربه ـ سبحانه وتعالى ـ وكرم مغفرته.

والشاعر أبو نواس علم في رأسه نار، عُرف بخمرياته في العصر العباسي، فأخذ النقاد والأدباء عنه الشيء الكثير، ونُقلتْ أخباره بين مسرفٍ ومقتصد.

إلا أن هناك ملمح مهم في شعر النواسى تجدر الإشارة إليه وهو زهده في أخريات حياته، حيث خرجتْ له قصائد مفعمة بالتوبة والندم على التفريط، والابتهالات الإسلامية النابعة من صدق إحساسه بالندم على أيامه الماضية، والمتأمل في شعر هذا الجانب يدرك توبته وإنابته إلى الله تعالى.

وكل ما ترمى إليه هذه الدراسة أن تخرج أبا نواس من دائرة الوهم والخيال والخرافات والأساطير التي افترى بها كثير من دارسي الأدب عليه، وأن نركز على التحول الكبير من هاوية اللهو والمجون إلى قمة التوبة والندم.

الكلمات المفتاحية:

(أبو نواس – الزهد – التوبة – الندم – الخوف من الله)

Abstract:

This study is concerned with ascetic topics which the poet Abu and ، like his prayer to God،Nawas has mentioned it and remorse ، death and the afterlife،contemplation and reflection disparageworld and the ، and should learn from time،for sin so this study gives him good way out for ،demand for the afterlife ،the poet from the circle of poets infidelity and promiscuity alcohol to the circle of repentant who demands only amnesty of and the generosity of his forgiveness.،his God

he knewby his ،The poet Abu Nawas aware of the fire in his head critics and writers took from ،Poems in wine in the Abbasid era and quoted his news between lavish and frugal. ،him a great deal an ascetic in his ،There is the side of his poetry scarce referred to where he exited his poems full of repentance and remorse for ،life and litanies Islamic stemming from sincerity of his ،compromising and the meditator in his ،sense of remorse on the last of his days poetry from this side realizes his repentance and supplication to God.

to get the poet Abba Nawas out of fantasy ،The aim of this study myths and legends that circle invents by many literary scholars to and focus on the big shift from the abyss of fun and promiscuity ،it to the top of repentance and remorse.

key words:

(Abu Nawas، asceticism، and repentance، remorse، fear of God)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على إمام المرسلين، وقدوة الزاهدين سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار. أما بعد:

فإن الزهد من مكارم الأخلاق التي تحظى بأهمية كبيرة في نظر الإسلام، وديننا الإسلامي يعلمنا أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، حتى ولو كانت من كافر، أو فاجر، أو مجنون.

والشاعر أبو نواس علم على رأسه نار، عُرف بخمرياته في العصر العباسي، فأخذ النقاد والأدباء عنه الشيء الكثير، ونُقلتْ أخباره بين مسرفٍ ومقتصد.

وهناك جانب من شعره لم يلتفت إليه الدارسون ولم تسلط عليه الأضواء إلا وهو جانب الزهد في أخريات حياته، حيث خرجتْ له قصائد مفعمة بالتوبة والندم على التفريط، والابتهالات الإسلامية النابعة من صدق إحساسه بالندم على أيامه الماضية.

والمتفرس الدقيق لشعر هذا الجانب يجاسد توبته وإنابته إلى الله تعالى.

وبما أن أبا نواس شاعر من شعراء الطبقة الأولى في العصر العباسي، فقد ظهر شعره تعبيراً عن خوالج نفسه.

وتأسيساً على ما سبق فقد جعلت الزهد في شعر أبي نواس موضوعاً للدراسة، وكان من الأسباب التي حرضتني لدراسة هذه الظاهرة مما يلي:

أولاً: أن الزهد ظاهرة أدبية هامة انتشرت في العصر العباسي خاصة.

ثانياً: أن الزهد ليس مقتصراً على آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والأخبار والآثار، بل إن الشعر قد تحدث عنه في مختلف الأزمان والبلدان.

ثالثاً: أن أبا نواس لحق به من الظلم والإجحاف الشيء الكثير، ما جعله أشبه بالأساطير والخرافات.

رابعاً: إثراء الساحة الأدبية بعمل جديد من حيث الرؤية والتفاصيل للموضوع الذي اخترته.

وغاية ما تطمح إليه هذه الدراسة: أن نُخرج النواسي من دائرة الوهم والخيال والخرافات والأساطير التي افترى بها كثير من دارسي الأدب عليه، وأن نركز على التحول الكبير من هاوية اللهو والمجون إلى قمة التوبة والندم بتلك الأبيات التي لو قيلت أمام ملك جبّار لرحم صاحبها، فكيف وقد قيلت أمام ملك الملوك الرحمن الرحيم ـ سبحانه وتعالى ـ ؟، الذي كتب على نفسه الرحمة، وأن رحمته سبقت عذابه.

وقد اعتمدت في تلكم الدراسة على منهج التحليل الفني لزهديات أبي نواس المبثوثة في ديوانه، مستبعداً قصائده الأخرى، حتى الوصول إلى صورة واضحة لشخصيته بحيدة وإنصاف.

واقتضت طبيعة الدراسة أن تقسم إلى مقدمة، وتمهيد، تليها ثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية.

وقد وضحت الدراسة جانباً من حياة أبي نواس، وما قاله عنه العلماء والأدباء والنقاد السابقون واللاحقون.

ثم تناولت الدراسة الموضوعات الزهدية التي طرقها أبو نواس، كالدعاء والمناجاة لله وحده، والتفكر والتدبر، والموت والآخرة، والندم على المعصية، والاتعاظ بالزمن وذم الدنيا.

وفي نهاية الرحلة النواسية التي عشنا فيها مع جانب مهم من جوانب إبداعه الشعرى أدركنا بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

تمهيد
(عصر أبى نواس)

يعد العصر العباسي ـ بلا ريب ـ عصر التحول في حياة العرب والمسلمين؛ بسبب التغيرات في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، بالإضافة إلى أنه عصر الانفتاح والتعارف بين الشعوب مما أتاح للناس من ثقافات جديدة وتجارب حيوية.

ولم يكن الشعر بعيدا عن هذا التحول وذلك الانفتاح؛ فقد انتقل من دائرة القبول والرضى والاستسلام والولاء للجماعة وأخلاقها إلى دائرة التساؤل والرفض، والتمرد والسخرية من الجماعة وقيمها، والاستخفاف بالعادات والتقاليد الثابتة، فقد ساعد تغيير الحياة وانتقالها من البادية إلى الحضر وتكاتف السكان وتزايدهم في المدن، وانتقال الثقافات المختلفة وامتزاجها بالثقافة العربية على نوع من التطور في شكل المجتمع، وفي لون الحياة الجديدة نتج عنه إحساس الشاعر بالعزلة والشعور بالوحدة والقلق، الأمر الذي دفع به إلى ضرورة البحث عن مخرج من خلالهما عن التوازن الداخلي باتخاذ موقف ينبع من داخله، ومن إرادته الحرة البعيدة عن أي تأثير، ومن هنا نتج التحول من الحضور الجماعي إلى الحضور الذاتي، وظهور العمل الفني من حضور الأنا، وغياب الآخر.

ومن شعراء تلك المرحلة المعروفين: أبو نواس الذي ولد في الأهواز جنوب غربي إيران 145هـ / ٧٦٢م لأمٍ فارسية الأصل، والمرجح أن والده كان من جند مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

ولما توفي والده انتقلت به أمه من الأهواز إلى البصرة في العراق، وهو في السادسة من عمره، ولما أيفع وجّهته إلى العمل في حانوت عطار، ثم انتقل من البصرة إلى الكوفة، ولم تذكر كتب التاريخ سبب ذلك، غير أنه التقى "والبة بن الحباب" الأسدي الكوفي فرافقه إليها.

وصحب جماعةً من الشعراء الماجنين كـ"مطيع بن إياس" و"حماد عجرد"، ثم انتقل إلى بادية بني أسد فأقام فيهم سنةً كاملةً آخذاً اللغة من منابعها الأصيلة، ثم عاد إلى البصرة وتلقى العلم على يد علمائها أدباً وشعراً.

ولم يقتصر طلبه العلم على الشعر والأدب بل كان يدرس الفقه والحديث والتفسير وحفظ القرآن الكريم، وقرأ على شيخ القراء "يعقوب الحضرمي" فلما حذق القراءة رمى إليه "يعقوب" خاتمه وقال: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة (١)

قال فيه ابن المعتز في كتابه: طبقات الشعراء: "كان أبو نواس عالماً فقيهاً عارفاً بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف، صاحب حفظٍ ونظرٍ ومعرفةٍ بطرق الحديث، يعرف محكم القرآن ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه(٢)

ويقول الجاحظ: ما كان أعلم بالعربية من أبي نواس، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه(٣)

وقال بعضهم: كأن المعاني حبست عليه فأخذ منها حاجته، وفضّ الباقي على الناس(٤)

وجاء في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة قوله: "كان النواس متفنناً في العلم قد ضرب في كل نوع منه بنصيب، ونظر بعد ذلك في علم النجوم"(٥)

---

(١) ينظر: الأصبهاني، أبو الفرج، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، ١ / ١٣

(٢) ابن المعتز، طبقات الشعراء، دار المعارف، مصر، د.ت، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ص٢٠١

(٣) ابن منظور، أخبار أبي نواس ٤٧ تح محمد عبد الرسول ط١ البستاني ٢٠٠٠ م

(٤) نفسه ٤٧

(٥) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار المعارف، القاهرة – ١٩٥٨م، ط٢، تحقيق أحمد محمد شاكر، ج ١ ص ٧٩٨

وحينما نتحدث عن سعة حفظه يقول ابن خلكان فيما يرويه عن "إسماعيل بن نوبخت": ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه"(١)

لقد طار صيته في العصر العباسي، وقضى حياته في التغني بالخمر والغزل حينما كانت الفنون بجميع أنواعها تدخل إلى الدولة العباسية التي وصل الترف والنعيم فيها إلى أعلى درجاته، وانتشرت في تلك الفترة جميع أصناف المعارف والعلوم ومنها الشعر والثقافة التي طرقت أبواب كل بيت، ومع انتشار ملذات الحياة في تلك الفترة فلا غرابة أن يظهر شعر اللهو والمجون، وكان للنواسي نصيب كبير من ذلك، ولكن مرجعه إلى طبيعة عصره وجلسائه وأقرانه، إذ نشأ يتيماً، ثم عاملاً في بيت عطّار يخالط أصناف المجتمع ويناومهم ويسامرهم، كيف لا؟

وهو شاب يافع يتقد ذهنه وتقدح قريحته بأجود أنواع الشعر في زمانه، وقد وقف النقاد من شعره عدة مواقف بين مسرف ومقتصد، إذ أخرجه بعضهم من دائرة الإسلام، ورماه بعضهم بالزندقة والمجون والفسق والفجور، ولكن ذلك لا يقلل من شأن شاعريته التي قرع فيها أبواب الشعر وموضوعاته المتعددة، ولنا أن نأخذ بعض ما كتب عنه من النقاد والعلماء والأدباء قديماً وحديثاً،

وحين نقترب من شهادات أقران أبى نواس نجد الشاعر المطبوع "العباس بن الأحنف" يبرز كاشفا عن شاعرية أبي نواس حين يقول: شعر أبي نواس أرق من الوهم وأنقذ من الفهم، وأفضى من السهم"(٢) .

(١) بن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، لبنان تحقيق إحسان عباس، ج ٢ ص ٩٦

(٢) العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله ، المصون في الأدب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، ط٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج ١ ص ٢٢١

ونجد صاحب معاهد التنصيص يكشف هو الآخر عن شاعريته وحسنه في شعره وتجويده له فيقول: قال أبو الغيث ابن الشاعر البحتري: لقد سألت والدي لما حضرته الوفاة من أشعر الناس؟ فقال: يا بني لو قُسِّم إحسان أبي نواس على جميع الناس لوسعهم (١).

ولبراعة الشاعر وحسن إبداعه وجودته وتفوقه فيه وذيوع صيته على سابقيه ولاحقيه لم يسلم من الحسد، فقد رُوى عن يحيى بن الجون راوية بشار بن برد إذ يقول: جاء أبو نواس إلى بشار فأنشده قصيدته اللامية التي يصف فيها النخيل فاستحسنها، فلما خرج قال بشار: لقد حسدت هذا الغلام(٢).

هذا فيما ورد إلينا من شهادات للنقاد القدامى.

أما في العصر الحديث فنجد الكاتب الكبير العقاد قدبيّن الخلل في نقل الرواة والمؤلفين القدامى عن أخبار أبي نواس، وميولهم نحو إلصاق الأحداث به، حتى وإن لم تكن له.

ومن الأمثلة على ذلك: ما فعله ابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) حين نسب قصّة إلى أبي نواس وهي في الأصل لذي الرمّة مع ميّة.

ويعزو أديبنا العقّاد هذا الكمّ الهائل من النوادر والحكايات والأساطير المنسوبة إلى أبي نواس دون غيره من الأدباء والشعراء فيما أطلق عليه اسم: الشخصية النموذجية، ويقصد بها العقاد: أنّ أبا نواس شخصية تمثّل نموذجاً اجتماعياً يعيش في كل زمن، شأنه شأن الكثيرين من أصحاب السمعة في الكرم والشجاعة والقوّة كحاتم الطائي، ولقمان الحكيم، وعنترة الشجاع(٣).

(١) العباسي، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد ، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١ ص ٨٥

(٢) الأصبهاني، أبو الفرج، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، ج ١ ص ٢٠

(٣) عباس العقاد: أبو نواس ٨٢

وقد أشار د. مصطفى ناصف إلى أنّه يمكن لنا دراسة شعر أبي نواس دون التطرق إلى شذوذه، لأنّ هذا الأسلوب النفسيّ في دراسة الشاعر أدّى بالعقّاد وغيره ممّن طبّقوا هذا النهج إلى إهمال الشعر وحياته أو تاريخه(١)..

أما د "صلاح الزبيدي" فيكشف عن روعة زهديات أبى نواس حين يقول :

أنتج لنا في أيام زهده أجمل العبر التي يمكن للمرء أن يستمدها من هذه الحياة؛ ذلك لأنها صدى صادق لتجارب خاضها الشاعر، وردود فعل لعيش عاشه الشاعر في مجالس اللهو والقصف، لا كما يصف الزهاد الذين عاشوا على هامش الحياة، ولم يعرفوا آفاقها، ولم يجربوا شرورها، ويغرقوا في لهوها ومفاسدها(٢).

وإن شعر أبي نواس في الزهد والتدين وفي سوء الحياة التي تنتهي بالفناء لخبرات مُجرّب عرف اللهو والإثم، فيظهر في كل مقطوعة ما فرط في حياته، فيظهر الندم عليه، ويطالب نفسه بنسيان ما فات، لذا نجد مشكلة عفو الله تشغل حيزا كبيرا من شعره الزهدي، ويظهر ثقته بحصوله على هذا العفو.

والعلامة الدكتور "محمد هداره" يدلى بدلوه في هذه القضية أعنى قضية الزهد لدى أبى نواس بعد أن راح يعدد نماذج لكثير من شعراء الزهد في القرن الثاني فيقول: ... وفيما عدا هؤلاء الشعراء الزهاد في القرن الثاني نجد تيار الزهد يمتد إلى شعراء آخرين لم يُعرفوا بالزهد

(١) ناصف، مصطفى، دراسة الأدب العربي، مصر دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط٣/ ١٩٨٣م

(٢) الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، ط ١، ٢٠٠٤م الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، ص ٧٢

قط، بل ربما كانوا إلى المجون، والتهتك والإباحة أقرب وألصق، ولكن هذا التيار الزهدي ربما ظهر عندهم في فترات صحو كانت تنتابهم(١)

ونرى كذلك الدكتور "على أبو زيد" يرصد الموضوعات التي دار في فلكها شعر الزهد لدى أبى نواس وراح يعددها حيث: التوبة، والاستغفار لله تعالى، والتضرع، وطلب الرحمة منه، والاعتراف بالذنب، والخوف والندم، وتصوير الرحيل، وبكاء الشباب، وذكر الموت والآخرة، وشكوى الدنيا(٢).

ولاغرو فإن لأبي نواس تأثيرا كبيرا في الشعر العربي بما بثه فيه من التجديد، وابتداع المعاني، وتطويع لطاقات اللغة، وترك لنا شخصية "كثر حولها اللجج، وطال الخصام، لقد شغل النواسي القدماء والمحدثين، وبلغ من فرط الاهتمام به أن تناول بعضهم تركيبه العضوي والنفسي محاولين الوصول عن طريقهما نحو مزيد من الفهم"(٣).

ولأن باب التوبة مفتوح على مصراعيه، ورحمة الله تعالى أوسع وأشمل رأينا النواسي يؤكد على طلب المغفرة والسعي لنيلها، فالأعمال بالخواتيم، ومن كانت خاتمته حسنة أدخله الله تعالى في رحمته، كيف لا؟ والنواسي ينوح ويصرح في آخر حياته طالباً رحمة ربه ـ سبحانه وتعالى ـ، راجياً كرمه بالمغفرة والعفو.

ولم لا؟ وقد شهد له أقرانه بالفرادة والتميز في العلم والفقه والرواية يضاف إلى ذلك كله شهادة نقادنا في العصر الحديث مع الأخذ في الاعتبار أننا لا نغفل الجانب الآخر لحياة أبي

(١) ينظر: هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني عشر، ١٩٨٨م، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلوم العربية، ص ١٩٤

(٢) ينظر: أبو زيد، علي إبراهيم، زهد المجاني في العصر العباسي، ١٩٨٦م، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ٢١١

(٣) عباس العقاد: أبو نواس ٨٦

نواس، ولكن الجانب الزهدي هو السائد في آخر حياته إلى مماته، فالأوْلى ألا نتسرع في الحكم عليه، وننصفه حق إنصاف.

***

وفاته :

لم يلبث أبو نواسٍ أن توفي 199هـ/ ٨١٣م، قبل أن يدخل المأمون بغداد، وقد اختلف في مكان وفاته أهي في السجن؟ أم في دار إسماعيل بن نوبخت.

واختلف في سبب وفاته، وقيل: إن إسماعيل هذا قد سمّه تخلصاً من سلاطة لسانه(١).

***

(١) الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد، ج٧، ص٤٤٨

دلالات الزهد في شعر أبي نواس:

إن حياة اللهو والمجون مهما طالت، وكثرة ملذاتها فإنها تجعل روح الإنسان خاوية كالبيت الخرب، وتظل في حاجة ماسة إلى غذاء الروح ولو مؤقتاً لتجعلها قادرة على الاستمرار في الحياة، والصبر على ما فيها من جفاف.

وأبو نواس سجله حافل باللهو والمجون ينطبق عليه ما ينطبق على البشر، إذ يتقلب بين القوة النفسية والضعف من خلال المشاعر التي تتدفق في ينابيع شعره معبرة عن تلك الحاجة.

وعلى الرغم من كثرة الانحرافات في شعره، إلا أن هناك جزءا من شعره لم يخل من تصوير الجانب الخيّر في مجتمعه، وكما كانت تظهر في شعره نزعات ماجنة ففي المقابل نزعات إيمانية يظهر فيها نادماً تائباً يسأل الله عز وجل العفو والمغفرة، ونزعات الإيمان والتوبة والندم على ما فات خوفاً من المصير المحتوم للبشر(١).

والمتأمل الدقيق لشعر أبى نواس يدرك روعة النفحات الشعرية التي جادت بها قريحته في جانب الندم والضعف حتى لحق به الكبر، واقترب من النهاية، لذا تراه يعطيك نفحات شعرية تهز الوجدان وتلهب الخاطر "فأنتج لنا في أيام زهده أجمل العبر التي يمكن للمرء أن يستمدها من هذه الحياة الدنيا؛ ذلك لأنها صدى صادق لتجاب خاضها الشاعر، وردود فعل لعبث عاشه في مجالس اللهو والقصف، لا كما يصف الزهاد الذين عاشوا على هامش الحياة، ولم يعرفوا آفاتها، ولم يجربوا شرورها، ويغرقوا في لهوها ومفاسدها"(٢).

(١) انظر:خليف، يوسف تاريخ الشعر في العصر العباسي، (د.ت)، ط ٢، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص ٦٤،٦٥

(٢) الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، ط ١، ٢٠٠٤م الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع، ص ٧٢

ولجلال المعاني التي أفرزتها شاعرية أبى نواس في الزهد وجدنا فقرات من أشعاره يتداولها خطباء المساجد والوعاظ، وقد جاءت هذه القصائد متناثرة في ديوان شعره طيلة عمره، ودلالات هذا الزهد وملامحه تتبدى في الآتي:

أولاً: الدعاء والمناجاة:

لقد مر النواسي بتجارب في حياته؛ إذ رأى أفواج الراحلين إلى عالم الآخرة من أقاربه، وأصدقائه، وأحبابه، وربما كان ارتحالهم متوالياً، فما يكاد يودع حبيباً أو صديقاً إلا ولحقه آخر، فرأى الأيام تتسلل من بين يديه، فتساءل بينه وبين نفسه: ماذا أعد لهذا المصير مع كثرة الذنوب والمعاصي؟

ولكن سلوته بأن الله عز وجل عفو غفور، وأنه مهما فرّط فهو مسلم لله وحده فيقول في إحدى قصائده الفريدة:

يـا رَبِّ إِن عَظُمَـت ذُنـوبي كَثـرَةً ... فَلَقَـد عَلِمـتُ بِـأَنَّ عَفـوَكَ أَعظَـم

إِن كـانَ لا يَرجـوكَ إِلّا مُحسِـنٌ ... فَـبِمَن يَلـوذُ وَيَسـتَجيرُ المُجـرِمُ

أَدعـوكَ رَبِّ كَـما أَمَـرتَ تَضَـرُّعاً ... فَـإِذا رَدَدتَ يَـدي فَمَـن ذا يَـرحَمُ

مـا لي إِلَيـكَ وَسـيلَةٌ إِلّا الرَجـا ... وَجَميـلُ عَفـوِكَ ثُـمَّ أَنّي مُسـلِمُ(١)

(١) أبو نواس، ديوانه، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٦١٨

ففي المقطع يلجأ إلى الله تعالى لجوء الخائف المستنجد الذي وجد نفسه محملة بالذنوب والآثام، ولم تُقدم شيئاً لآخرتها، فأراد أن يتقرب إلى الله بتوبته وإسلامه لعله يرحمه ويعفو عنه.

وهي لحظات صدق مع النفس لا يعرفها الإنسان إلا إذا عاش لحظات انقطاع عن الدنيا وملذاتها وتوجه وعاش الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، لذا أقر الشاعر بذنوبه معترفاً بها ولا يملك غير طلب العفو لأنه مسلم(١).

وقد رآه أحد أصحابه في منامه بعد موته فقال له: "ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: بماذا؟ قال، بأبيات قلتها، قال: ما هي؟ قال: هي في رقعة في مخدة كانت تحت رأسي، فصار الرجل إلى منزله فسأل عن المخدة ففتقها فإذا فيها رقعة مكتوب فيها: يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة"(٢)

ومما يلاحظ على أبيات المقطوعة التي أسلفت كنموذج للتدليل به على دعائه ومناجاته نجد إنسانا خاشعاً يملؤه الأمل، لأن عفو الله تعالى أعظم من كل شيء، فمهما بلغت ذنوبه من العظم والكثرة، فعفو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أكبر وأعظم لكل من تاب واستغفر، فيتساءل بقلب أحرقته الذنوب والمعاصي إن كان لا يرجو عفو الله عز وجل إلا من أحسن وعمل صالحاً، فمنْ للمجرم المسرف على نفسه؟ كيف لا؟ وأنت ربه سبحانك!، فيرفع يديه متضرعاً راجياً العفو والمغفرة.

***

(١) لجنة التحقيق في دار القلم العربي، تاريخ شعراء العربية، دار القلم العربي، د.ت، د.ط، مراجعة أحمد عبد الله فرهود، ص١٣

(٢) الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي، أخبار أبي القاسم الزجاجي، دار الرشيد للنشر، العراق،١٩٨٠م ، ط١، تحقيق: د.عبد الحسين المبارك، ج١، ص٥٢، وانظر: الأندلسي، أحمد بن محمدبن عبد ربه، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م ،ط٣، ج٣، ص٢١١

وفي مقطوعة أخرى ينفجر فيها بالصياح والبكاء والاعتراف بالذنوب يقول فيها:

أَيا مَن لَيسَ لي مِنهُ مُجيرُ بِعَفوِكَ مِن عَذابِكَ أَستَجيرُ

أَنا العَبدُ المُقِرُّ بِكُلِّ ذَنبٍ وَأَنتَ السَيِّدُ المَولى الغَفورُ

فَإِن عَذَّبتَني فَبِسوءِ فِعلي وَإِن تَغفِر فَأَنتَ بِهِ جَديرُ

أَفِرُّ إِلَيكَ مِنكَ وَأَينَ إِلّا إِلَيكَ يَفِرُّ مِنكَ المُستَجيرُ(١)

إنه الهروب من سوء الفعل إلى الله عز وجل، كيف لا؟ وإليه ـ سبحانه وتعالى ـ الملجأ والمنجى لكل عبد تائب ونادم ومتحسر على ما أسرف.

***

ومن أجمل المقطوعات في مناجاة الله ـ عز وجل ـ قول النواسي:

إِلَهَنا ما أَعدَلَك مَليكَ كُلِّ مَن مَلَك

لَبَّيكَ قَد لَبَّيتُ لَك

لَبَّيكَ إِنَّ الحَمدَ لَك وَالمُلكَ لا شَريكَ لَك

(١) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٠

ما خابَ عَبدٌ سَأَلَك أَنتَ لَهُ حَيثُ سَلَك

لَولاكَ يا رَبُّ هَلَك

لَبَّيكَ إِنَّ الحَمدَ لَك وَالمُلكَ لا شَريكَ لَك

كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَك وَكُلُّ مَن أَهَلَّ لَك

وَكُلُّ عَبدٍ سَأَلَك سَبَّحَ أَو لَبّى فَلَك

لَبَّيكَ إِنَّ الحَمدَ لَك وَالمُلكَ لا شَريكَ لَك

وَاللَيلَ لَمّا أَن حَلِك وَالسابِحاتِ في الفَلَك

عَلى مَجاري المُنسَلَك

لَبَّيكَ إِنَّ الحَمدَ لَك وَالمُلكَ لا شَريكَ لَك

اِعمَل وَبادِر أَجَلَك وَاِختُم بِخَيرٍ عَمَلَك

لَبَّيكَ إِنَّ الحَمدَ لَك وَالمُلكَ لا شَريكَ لَك(١)

ومن يتأمل الأبيات السالفة الذكر يجد أن صاحبها قد قذف بها من خلال حنايا مشاعر ملتهبة ترغب في اللجوء إلى الله تعالى وتقديسه والبكاء على أعتابه دوما مما يجعل القارئ حتما سيتفاعل معها وستؤثر في خلجات نفسه وتهز مشاعره، ليتذكر النفحات الإيمانية في تلك العبادات، فتذكرنا بعظيم غفلتنا عن الله عز وجل، إنها تبعث في النفس رهبة، ورغبة، ورجاء، وأملاً من رب عظيم رحيم بعباده.

وقد أخرج ابن الأنباري في أماليه، والمعافى، وابن عساكر عن ابن صفوان قال: لما حجَّ أبو نواس لبّى فقال: إلهنا ما أعْدَلك"٢)

والنواسي في هذه الأبيات يعبر بصدق عن مشاعره لما يشاهده من النفحات الإيمانية في الحج، والعاطفة صادقة والأسلوب قوي ومؤثر، حتى لو كانت نفسه عاصية منحرفة إلا أن ذلك لا يعني أنها ميتة لا تحس ولا تشعر، ولا تفيق، فالمقطوعة السابقة "سبحة من سبحات الروح التي لا تخلو النفس البشرية مهما يكن من ضلالها أو إنكارها في لحظة من لحظات الاتصال بالقوى الغيبية العلوية"(٣).

***

(١) السابق، ص ٦٢٣

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين، الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت، ١٩٩١م، ط١، تحقيق: د.علي حسين البواب، ج١، ص٣٧

(٣) صدقي، عبدالرحمن، أبو نواس قصة حياته وشعره، ١٩٤٤م، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ص ٨٩

وتراه يناجى نفسه في مشهد آخر من مشاهد لجوئه الى الله تعالى طالباً منها التحلي بالوقار والصبر قائلاً:

يا نُواسيُّ تَوَقَّر وَتَجَمَّل وَتَصَبَّر
ساءَكَ الدَهرُ بِشَيءٍ وَبِما سَرَّكَ أَكثَر
يا كَبيرَ الذَنبِ عَفوُ الـ ـلَهِ مِن ذَنبِكَ أَكبَر
أَكبَرُ الأَشياءِ عَن أَصـ ـغَرِ عَفوِ اللهَ أَصغَر
لَيسَ لِلإِنسانِ إِلّا ما قَضى اللهُ وَقَدَّر
لَيسَ لِلمَخلوقِ تَدبيـ ـرٌ بَلِ اللهُ المُدَبِّر(١)

وهو نموذج رائع فريد في بابه لا يسعنا من خلاله إلا أن نقر بصدق توبة هذا الشاعر الزاهد البالغ في العودة مبلغا؛ إذ يناجي ربه ـ سبحانه وتعالى ـ مخاطبا نفسه:

مهما ساءك الدهر بشيء فإنه أحسن إليك بأضعاف ما أحزنك، ومهما كبرت الذنوب فعفو الله تعالى أكبر، فكل إنسان ليس له إلا ما قدر الله عز وجل له في الحياة، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ المدبر لشؤون خلقه، فخذ بأسباب النجاة، وتوكل على المدبر لكل الأمور.

ولفرط البراعة والتقنية العالية لدى أبى نواس نجد أبا العتاهية يتمنى أن تكون له أبيات قد قالها شاعر النواسي، – وأبو العتاهية كما معلوم شاعر قدير مكين – يقول أبو العتاهية:

قلت في الزهد عشرين ألف بيت وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي هذه وكانت مكتوبة على قبره"(٢).

(١) أبو نواس، ديوانه، ص ٦٢٠

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت، ج١٠، ص٢٢٨

***

وهذا نموذج آخر لأبى نواس يدلل به على دعائه ومناجاته لخالقه وراح من خلاله يبرز علامات وأمارات مهمة تجعل الإنسان العاقل الذكي يتأمل علامات الشيب التي تعلو الرؤوس وكفى بها ناصحا أمينا.

وكيف أن الإنسان يتبع الهوى وأمامه طريق الهداية والحق الواضح فينقلنا النواسي نقلة غير عادية حين تحدث عن مهور النساء الصالحات، فمهورهن غالية جدا وهى العمل الصالح، كما أن تقوى الله تعالى هي الموصلة الى العمل الرابح، كل ذلك خرج في صورة فنية آسره حيث يقول :

آيةَ نارِ قدحَ القادحُ وأىَّ جِدّ باغ المازحُ
لله در الشيب من واعظ وناصح لو حظي الناصح
يأبي الفتي إلا إتباع الهوى ومنهج الحق له واضح
فاسمٌ بعينيك إلي نسوة مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي العذراء من خدرها إلا امرؤٌ ميزانه راجح
من اتقي الله فذاك الذى سيق إليه المتجر الرابح

***

وتراه في مناجاته ومحادثته مع ربه ـ سبحانه وتعالى ـ يدعو إلى ثبات الإنسان وديمومته مع الذات العلية ويكون الفرد مستعدا للمنايا التي تنتظر سهامها الموجهة حين يقول :

كـــن مـــع الله يكـــن لـــك واتـــــق الله لعلّـــــك
لا تكـــــن إلا مُعـــــدّا للمنايـــــا فكأنـــــك
إن للمـــــوت لســـــهما واقعـــــا دونـــــك

أو نحـــن نجـــرى في أفـــانين ســـــــــكون وتحـــــــــرّك

***

وتتجلى قمة المناجاة والركون إلى الله عز وجل والتضرع إليه في هذا النموذج الفني الآسر حيث وجدناه يخاطب نفسه كي تخاف الله تعالى وتتقيه، ولا تكن حريصة كل الحرص على جمع المال وتجعل ذلك غاية الغايات.

فمن يجعل الدنيا منتهى سؤاله وغايته حتما سيخسر الكثير والكثير؟ ناهيك عن حديثه عن عدم الحرص، والحرص صفة ذميمة تفقر الإنسان.

رأيناه وقد خاطب فينا التنبيه من أن الآجال مرصودة، والمنية إذا شمرت ويممت صوب أحد فلن تنصرف عنه، كذلك الموت ضيف محتوم نزوله، وعلى الإنسان أن يستعد لقدومه بأفضل العُدد.

كل هذه المعاني وغيرها تدل على أن نفس شاعرها تمتلك نفسا إنسانة ضارعة خائفة وجلة من ربها ـ سبحانه وتعالى ـ

وقد خرجت هذه المعاني في أسلوب جزل رقيق يتسم بالبساطة والصدق في التناول، يظهر أثر ذلك كله حين يكشف عن ذلك قائلا:

يا نفس خافي الله واتئدي واسعي لنفسك سعي مجتهدِ
منْ كان جمعُ المال همّتَه لم يخل من غمٍ ومن كَمَدِ
يا طالبَ الدنيا ليجمعها جمحتْ بك الآمالُ فاقتصدِ
و أراكَ تركبُ ظَهر مَطْمَعةٍ تطوي بها بلداً إلى بلدِ
لو لم تكنْ لله متهما لم تُمسِ محتاجا إلى أحدِ

فاقْصدْ فلستَ بمدركٍ أملاً إلا بعون الله الواحدِ الصمدِ
والقصدُ أحسنُ ما عملتَ بهِ فاسلكْ سبيلَ الخيرِ واجتهدِ
والحرصُ يُفقرُ أهلَه حسدا والرزقُ أقصى غاية الحسد
ولعلَّ منْ يشجى بغصته إلا ذوو الآمال والعددِ
ولَرُبَّ ساعٍ فاتَ مطلبه لم يؤتَ من حزم ولا جلد
و مشمرٍ في الرزق خطوتَه ظفرت يداه بمرتعٍ رغدِ
أَوَ ما ترى الآجالَ راصدةً لتحول بين الروح و الجسدِ
وإذا المنيةُ أَمَّت أحداً لم تنصرفْ عنه ولم تحِدِ
يا من أقام على خطيئته سُدَّتْ عليكَ مذاهب الرَّشَدِ
منَّتكَ نفسُكَ أن تتوب غدا أَوَ ما تخافُ الموتَ دون غدِ
الموتُ ضيفٌ فاستعدَّ لهُ قبل النزولِ، بأفضل العُددِ
واعمل لدارٍ أنت جاعلها دارَ المقامة آخر الأمدِ
يا نفسُ مَوْرِدُكِ الصراط غدا فتأهبي من قبل أن تَرِدِي
ما حجتي يوم الحساب إذا شَهِدَتْ عليَّ بما جنيْتُ يدي؟

***

ثانياً: التفكر والتدبر:

التأمل والتدبر قيمتان عقليتان تدلان على عقلية راقية، فالمتأمل المتدبر يتمتع بقدرة الاستفادة مما يحدث حول الإنسان، ورجل في عقل أبي نواس لا تفوته هذه القيمة في شعره، إذ يتخذ منها وسيلة لإيقاظ نفسه من غفلتها، وتنبيهها من سكرتها، فالتفكر والتدبر قيمة وعبادة تتعلق بالقلب، وتستخدم العقل، وقد دعانا الله في محكم كتابه إلى التفكر والتدبر فقال ـ سبحانه وتعالى ـ :

(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (١)

ودعانا ـ سبحانه وتعالى ـ إلى التأمل في أنفسنا فقال: (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) (٢)

ودلالات التأمل والتدبر يتبدى أثره في شعر أبى نواس؛ حيث قضى جلّ حياته في معاقرة الخمر والنساء والغلمان، وما إن يستفيق ويرجع إلى عقله وقلبه يتأمل ويتفكر ويبدع في صياغة تلك التأملات، فهو شاعر مبدع مرهف الحس، يرسم الصورة بإبداع وإتقان تأسر القلوب وتزيدها إيماناً بربها ـ سبحانه وتعالى ـ خالق هذا الكون ومدبره، فيصور قدرة الله الخالق البارئ ـ سبحانه وتعالى ـ في خلق الإنسان في رحم أمه مستلمها ذلك من كتاب الله عز وجل، فيقول:

سُبحانَ مَن خَلَقَ الخَلـ قَ مِن ضَعيفٍ مَهينِ
يَسوقُهُ مِن قَرارٍ إِلى قَرارٍ مَكينِ

(١) آل عمران، الآية ١٩١

(٢) الذاريات، الآية ٢١

في الحُجبِ شَيئاً فَشَيئاً يَحورُ دونَ العُيونِ
حَتّى بَدَت حَرَكاتٌ مَخلوقَةٌ مِن سُكونِ(١)

وقد اقتبس أبو نواس هذا المشهد من قول الله عز وجل:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (٢).

***

وتجده يتألق في عطائه الفني حين يتأمل ويتدبر أحوال السابقين، فكل ناعٍ يوصل صاحبه إلى قبره ينعاه غيره غدا، ويحمله إلى مستقره الأخير، ومن بكى غيره اليوم يبكونه غداً، وكل منّا صائر إلى ما قدره الله ـ عز وجل ـ ، وهوـ سبحانه وتعالى ـ مطلع على كل شيء، فيخاطب الشاعر نفسه مطالباً إياها بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى، فالحوادث سريعة، والموت واقع لا محالة، والسعي في طلب التقوى خير ما تكسبه النفوس، فيتأمل مصائر الخلق في قوله:

كُلُّ مَذخورٍ سَيَفنى كُلُّ مَذكورٍ سَيُنسى
لَيسَ غَيرَ اللهَ يَبقى مَن عَلا فَاللهُ أَعلى
إِنَّ شَيئاً قَد كُفينا هُ لَهُ نَسعى وَنَشقى
إِنَّ لِلشَرِّ وَلِلخَيـ ـرِ لَسيما لَيسَ تَخفى
كُلُّ مُستَخفٍ بِسِرٍّ فَمِنَ اللهِ بِمَرأى

(١) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٩

(٢) المؤمنون، الآية ١٢، ١٣، ١٤

لا تَرى شَيئاً عَلى اللَـ ـهِ مِنَ الأَشياءِ يَخفى(١)

***

(١) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٧

ثالثاً: الموت والآخرة:

الموت مصير محتوم لكل الخلائق قال الله تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١)

وكلمة: الموت أرهقت البشرية وأوجعتهم، لذلك هرب أبو نواس إلى نقيضها: الدنيا وملذاتها وشهواتها متغافلاً عن هذا المصير المحتوم، ولكن نفسه لن تنسى مصيرها ففي كل نوبة صحو، ولحظة ندم يتذكر ما له وما أعده لهذا المصير، فتتنازعه المشاعر النادمة الحزينة و"يخاطب عقل الإنسان ويحاول أن يثير هذا العقل، ويدفعه إلى التفكير. فهو لا يريد منه أن يؤمن إيمان خوف ووجل، بل يريد أن يؤمن إيمان المتبصر الواثق مما يعمل، وهو في طرقه لهذا الباب يسلك مسلكاً مغايراً لأبي العتاهية الذي يولول وينوح محاولاً مخاطبة العاطفة وإثارتها، حتى يدفع الإنسان إلى التوبة"(٢).

ولأن فكرة الموت سيطرت على فكر أبى نواس مؤخرا نجد معاني كثيرة في شعره يتقاطر منها الصراخ والعويل والخوف من المصير ووجع المآل، فتتكرر لديه لفظة: الموت في شعره تأكيدا على معانى يريد أن يبثها في شعره حيث "يتخذ من الموت قارعاً ومنبهاً، ومن الحشر، والحساب، والثواب، والعقاب، وسيلة لتنبيه الغافلين، وتقريع اللاهين"(٣)يقول في ذكر الموت:

(١) آل عمران، الآية ١٨٥

(٢) عطوي، علي نجيب، شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ١٩٨١م، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي، ص ٢٩٦

(٣) درويش، العربي حسن، أبو نواس وقضية الحداثة في شعره، ص ٣٤٠

المَوتُ مِنّا قَريبٌ وَلَيسَ عَنّا بِنازِح
في كُلِّ يَومٍ نَعيٌ تَصيحُ مِنهُ الصَوائِح
تَشجى القُلوبُ وَتَبكي مُوَلوِلاتُ النَوائِح
حَتّى مَتى أَنتَ تَلهو في غَفلَةٍ وَتُمازِح
وَالمَوتُ في كُلِّ يَومٍ في زِندِ عَيشِكَ قادِح
فَاِعمَل لِيَومٍ عَبوسٍ مِن شِدَّةِ الهَولِ كالِح
وَلا يَغُرَّنكَ دُنيا نَعيمُها عَنكَ نازِح
وَبُغضُها لَكَ زَينٌ وَحُبُّها لَكَ فاضِح(١)

حيث تسيطر على أبى نواس فكرة التأمل في قصة الموت، وكيف أنه قريب منّا، وهو قدر كل حيّ، فلا غرابة أن ينعى الناعي كل دقيقة، بل كل ثانية، بل كل لحظة، والقلوب لا تملك إلا أن تنوح.

والإنسان لا يعرف قيمة ما هو فيه حتى يفاجئه الموت، ساعتها لا ينفع البكاء ولا العويل، فالموت ـ لا شك ـ فاعل فينا ومؤثر، فعلى المرء أن يعمل ويستعد من أجل أن يفدى نفسه وتفوز من شدة هول يوم كالح، لأن الدنيا دار غرور وهوى، وعلى العاقل أن يجنب نفسه ويل المصير وويل المرجع .

وتتجلى براعة أبى نواس في التعبير حين راح يستشهد بما هو محسوس ومشاهد ليكون أقوى في التأثير على النفوس، فالنفوس ـ كما هو معلوم ـ بالمحسوس آنس، كأنه يجعل المستمع والقارئ لهذه الأبيات أمام لحظة صعبة، إذ يحدث بذلك في النفس أثراً عجيبا، لترجع النفوس إلى التوبة لربها ـ سبحانه وتعالى ـ، والاستغفار من ذنوبها، فيعطيك فرصة قبل الموت لتحاسب

(١) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٤

نفسك وترجع إلى ربك ـ سبحانه وتعالى ـ ، فالدنيا ونعيمها زائلة لا محالة يقول الله تعالى: (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) (١).

فالسعيد من أدرك الفرصة قبل فوات الأوان، وعمل لما بعد الموت، ورجع إلى ربه ـ سبحانه وتعالى ـ وأناب، وهذا الإحساس باليوم الآخر "يلدغ الذين توهموا الخلود في الأرض، وربطوا مصيرهم بترابها"(٢)

ويؤكد في دلالاته الشعرية في باب الموت على أن الموت لا يستأذن أحداً، بل إنه زائر يخطف الأرواح بلمح البصر، فلا ينتظرك لتستعد له، إنه قدر محتوم، فيصور الشاعر رحيل من تركوا القصور المشيدة إلى قبور صغيرة يعلوها التراب، يقول:

إِنَّ لِلمَوتِ أَخذَةٌ تَسبِقُ اللَمحَ بِالبَصَر
فَكَأَنّي بِكُم غَداً في ثِيابٍ مِنَ المَدَر
قَد نُقِلتُم مِنَ القُصو رِ إِلى ظُلمَةِ الحُفَر
هَيثُ لا تُضرَبُ القِبا بُ عَلَيكُم وَلا الحَجَر
حَيثُ لا تَظهَرونَ فيـ ـها لِلَهوٍ وَلا سَمَر
رَحِمَ اللهُ مُسلِماً ذَكَرَ اللهَ فَازدَجَر
غَفَرَ اللهُ ذَنبَ مَن خافَ فَاستَشعَرَ الحَذَر(٣)

(١) النازعات، الآية ٤٦

(٢) الغزالي، محمد، خلق المسلم، ١٩٩٤م، ط ٥، الإسكندرية، دار الدعوة، ص ٢٣١

(٣) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٢

ومن نهاية الأبيات المأساوية الحزينة التي تحدثنا عن الموت وقسوته وجلاله حيث إن الله ـ جل جلاله ـ قد غفر للإنسان الذي هو دوما على حذر من أن يؤخذ على غرّة وساعتها لا ينفع الندم.

ولأن للموت شدته، ولخروج الروح ويلاتها عكف النواسي على توضيح هذه الصورة حين راح يزيدها جلاءً ووضوحا بأن للموت أخذة سريعة تسبق في عدوها اللمح والبصر، وسرعان ما ينتقل الإنسان من العصور الفارهة إلى ظلمة القبور والحفر المظلمة، فلا مجال فيها للهو والمسامرة، ومعاقرة النساء، لذا سيصب الله ـ تعالى ـ فيض رحماته على من تذكره وازدجر، وهي ـ بلا جدال ـ معاني رائعة في سياقها شَكّلَها وجدانُ فنان

ولعل هذا المقطع يبرز لنا كيف كان النواسي حذراً حيث تاب وأناب، ورجع إلى ربه ـ سبحانه وتعالى ـ، وزهد في آخر عمره، معترفاً بذنوبه.

وهناك أحاديث في شعره تمثل نوبات الصحو والندم التي كانت تعتري نفسه، فتملأها رهبة وخوفاً من المصير المحتوم للبشر (١)

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن أبا نواس "أخذ يفيق من سكره حين علت سنه، ووخطه الشيب مفكراً في الحياة وعواقبها وفي البعث والنشور والموت والفناء"(٢)

***

وفي مقطوعة أخرى يشعر بقرب القيامة فيعتريه الخوف وتسيطر عليه التوبة، ويستعد لهذا اليوم المهول، (يوماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) (١)، فلا بقاء للمنعي ولا بقاء للناعي، ولا المبكي ولا الباكي، فكل مذخور سيبدده الموت، وهذا حال الدنيا وتقلبها بأهلها، يقول:

(١) انظر:خليف، يوسف تاريخ الشعر في العصر العباسي، ص ٦٤،٦٥

(٢) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ١٩٩٩م، ط ١٥، القاهرة، دار المعارف، ص ٢٣٧

كُلُّ ناعٍ فَسَيُنعى كُلُّ باكٍ فَسَيُبكى
كُلُّ مَذخورٍ سَيَفنى كُلُّ مَذكورٍ سَيُنسى
لَيسَ غَيرَ اللهِ يَبقى مَن عَلا فَاللهُ أَعلى(٢)

هذه هي الحقيقة، فالكل راحل لا محالة (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (٣).

وتراه في موقف آخر واعظا، حيث يقول في لوحة فنية مؤثرة باكية يقول:

أَلا تَأتي القُبورَ صَباحَ يَومٍ فَتَسمَعَ ما تُخَبِّرُكَ القُبورُ
فَإِنَّ سُكوتَها حَرَكٌ تَنادى كَأَنَّ بُطونَ غائِبِها ظُهورُ(٤)

حيث يتحدث إلينا بلغة القبور الصامتة في مشهد مأساوي خطير يدعو إلى تذكر المصير والمرجع والمآل، ونسيان الدنيا وملذاتها، والتأمل والتفكر في مصيرك المحتوم، وماذا أعددت له!

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي ما قاله وقد تصور نفسه مسجي علي فراش الموت، تقلبه الأيدي، ثم هو يغسل ويحنط ويكفن، ثم يحمل علي سرير الموت، ثم يبعث يوم القيامة، وقد فرّط في حق الله ـ تعالى ـ أيّما تفريط .

(١) المزمل ١٧
(٢) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٧
(٣) الرحمن، الآية ٢٦، ٢٧
(٤) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٣

يقول النواسي نادما ومناجيا نفسه وهو من روائع الشعر السهل الممتن:

ومن دقيق شعره أيضا في هذا المجال: حديثه عن الموت، وكيف أن الإنسان يأمن هذا الموت كأنه ليس بحقيقة، وأن الذين بادوا وفنوا ما فنوا إلا لتبقى أنت أيها الإنسان، وقد علمت بأنه ليس لك فيها مقام إذا ما استوفيت أجلك ورزقك، وأن الفرد مرهون بما قدمت يداه من زاد وعمل يقول موضحا ذلك :

وبالتفرس في شعره أيضا نجد له لوحة رائعة تجسد رغبته في الهرولة إلى الله ـ تعالى ـ وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ سيكافئه بالنوال والعطاء الهنيّ الذى لا تشوبه منغصات ولا مكدرات، إنه عطاء المولى ـ جل وعلا ـ يقول :

يا سائل الله فزت بالظفر وبالنوال الهنيّ لا بالكدر
فارغب إلي الله لا إلى بشر منتقل في البلي وفي الغير
وارغب إلي الله لا إلى جسد منتقل من صبا إلي كبر
إن الذي لا يخيب سائله جوهره غير جوهر البشر
مالك بالترهات مشتغلا أفي يديك الأمان من سقر

وله أيضا:

شاع فيّ الفناء علوا وسفلا وأراني أموت عضوا فعضوا
ذهبت جِدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله نِضوا

ومن جميل قوله في باب الموت حين قربت منيته، وحان وقت رحيله إقراره بأنه ليس أهلا للفردوس الأعلى، ولا يقوى على نار جهنم – أعاذنا الله تعالى منها – لذا وجدناه في هذه اللوحة يطلب من ربه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعامله معاملة الكريم يقول :

اِلهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أهلاً وَلاَ اَقْوَي عَلَي النَّارِ الْجَحِيْمِ
فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَ اغْفِرْ ذُنُوْبِي فَإنَّكَ غَافِرُ الذَنْبِ الْعَظِيْمِ
وَعَامِّلْنِي مُعامَلةً الْكَرِيْمِ وَ ثَبِّتْنِي عَلَي النَّهْجِ الْقَوِيْمِ

وله:

ذُنُوْبِي مِثْلُ اَعْدَادِ الرِّمَالِ فَهَبْ لِي تَوْبَةً يَا ذَاالْجَلالِ
وَعُمْرِي نَاقِصٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَذَنْبِي زَائِدٌ كَيْفَ احْتِمَالِي
اِلهِي عبْدُكَ الْعَاصِي أتاك مُقِرًّا بِالذُّنُوْبِ وَ قَدْ دَ عَاكَ
إنْ تَغْفِرْ وَأنْتَ لِذاكَ أهْلٌ وَإنْ تَتْرُدْ فَمَنْ نَرْجُو سِواكَ

وله أيضا في هذا الصدد قوله :

أراني مع الأحياء و أكثري على الدهر ميت قد تخرَّمَه الدهر
فما لم يمت مني بما مات ناهضٌ فبعضي لبعضي دون قبر البلى قبرُ
فيارب قد أَحسنتَ عوداً وبدأةً إليَّ فلم ينهض بإحسانك الشكرُ
فمن كان ذا عذرٍ لديك وحجةٍ فعذريَ إقراري بأن ليس لي عذرُ

وهكذا رأينا الموت بين المعاني الهامة التي حواها موضوع الزهد عن أبى نواس، ورأينا تركيزه على مصير الإنسان الحتمي، وأنه لا مفر للإنسان عنه، وعليه أن ينظر في أحوال الممالك الذاهبة والامم الفانية كما تبدى ذلك في سياق ما سبق من عرض وتفصيل .

***

رابعاً: الندم على المعصية:

الندم على المعصية وترك الذنوب دلالة من دلالات الزهد لدى أبى نواس؛ حيث تكشف هذه الدلالة عن الصدق العميق في رجوعه إلى الله ـ عز وجل ـ بنية صادقة وعزم أكيد، وهذا ـ مما لاشك ـ خير من الاستمرار في الذنوب والمعاصي.

والندم مفردة تليق بأبي نواس، فخمرياته ومجونه وغزله الفاحش دليل على ذلك، ولكن هناك لحظات صدق إنسانية تملّ فيها النفس من المعاصي، وتعود إلى الله ـ عز وجل ـ تائبة مستغفرة، لذا وجدنا صدى لحظات الصدق الإنساني تشيع آثارها في شعره، حيث يتوجه إلى الله ـ عز وجل ـ معترفاً بذنبه طالباً العفو والمغفرة، متحسراً على تلك الليالي التي قضاها في المعصية، يرشف فيها من كأس الملذات الزائلة، يقول:

كَم لَيلَةٍ قَد بُتُّ أَلهو بِها ... لَو دامَ ذاكَ اللَهوُ لِلّاهي
حَرَّمَها اللهُ وَحَلَّلتُها ... فَكَيفَ بِالعَفوِ مِنَ اللهِ(١)

ويصرخ في مقطوعة أخرى نادماً ومتألماً على ما فرط، وما حجته أمام الله ـ تعالى ـ ، وما العذر:

ما حُجَّتي فيما أَتَيتُ وَما ... قَولي لِرَبّي بَل وَما عُذري
أَن لا أَكونَ قَصَدتُ رُشدي أَو ... أَقبَلتُ ما اِستَدبَرتُ مِن أَمري

(١) السابق، ص ٦٢٣

يا سَوأَتا مِمّا اِكتَسَبتُ وَيا أَسَفي عَلى ما فاتَ مِن عُمري(١)

فكلمة "يا سوأتا" تكشف عن الألم والتحسر اللذين يسيطران على الشاعر، حيث عمره الذى أوشك على الانزواء والانزياح، ويجعلنا "لا نشعر في هذا القول الرفيق الصادق من أعماق القلب بالندامة الصادقة، والإيمان الكلي بالله ـ عز وجل ـ ، ألا يصدر من هذه الكلمات أمر التأوهات والزفرات التي تحرق الأفئدة، وتذيب القلوب"(٢)

وفى لوحة أخرى تجده معبراً عن بلوغه ووصوله إلى الحد الأقصى بالتشبع بالمعاصي وملذات الدنيا، ليصل إلى طريق مسدود ومآله الضيقة، ليتوجه بعدها إلى الله ـ عز وجل ـ وعفوه ورحمته الواسعة:

إِذا لَم تَنهَ نَفسَكَ عَن هَواها فَإِنّي قَد وَتُحسِنُ صَونَها فَإِلَيكَ عَنّي
شَبِعتُ مِنَ المَعاصي وَمِن لَذّاتِها وَشَبِعنَ مِنّي(٣)

ومما يؤكد على سيطرة حس الندم على المعصية لدى الشاعر: حديثه لنفسه مخاطبا علام الغيوب ـ جل جلاله ـ من قدرته على تصريف الخطوب وكيف أن الخطوب تنهب النفوس نهبا، خاطفة ثمار قلوبهم، لهذا وجدناه محذرا نفسه وموجها لها في هذه اللوحة بأنه لابد عليه

(١) السابق، ص ٦١٠

(٢) عطوي، علي نجيب، شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، ص ٢٩٥

(٣) أبو نواس، ديوانه، ص ٦١٧

بالاستغفار من الذنوب قبل أن لا تقوى عليه، ولا تقدر في يوم من الأيام على المبادرة بالتوبة والندم والإقلاع، فتراه يجسد هذه المعاني حين يقول :

سبحان علام الغيوب عجبا لتصريف الخطوب
تغدو على قطف النفوس وتجتني ثمر القلوب
يا نفس توبي قبل أن لا تستطيعي أن تتوبي
واستغفري لذنوبك الرحمن غفار الذنوب
إن الحوادث كالرياح عليك دائمة الهبوب
والموت شرع واحد والخلق مختلفو الضروب
والسعي في طلب التقي من خير مكسبة الكسوب
ولقلما ينجو الفتي بتقاه من لطخ العيوب

***

خامساً: الاتعاظ بالزمن وذم الدنيا:

إنَّ تقدم الإنسان بالعمر، ورؤيته للحياة وهي تذبل وتزدري أمام عينيه، ومواكب الراحلين كل يوم تسير إلى مصيرها المحتوم، كل هذا وغيره يدفع الإنسان إلى التفكر والرجوع إلى الله ـ عز وجل ـ ، فكم من مغتر بهذه الدنيا لاهياً في ملذاتها منشغلاً بآثارها الفانية؟ كأنه لم يقرأ قوله تعالى:

(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١)

والمتأمل في شعر النواسي يجده يذم الدنيا ويتعظ من دوران الزمن، وملامح ذلك جلية في أشعاره خاصة بعد أن تقدمت سنه، وعلا المشيب برأسه، وتخطاه الشباب، وطحنته التجارب في هذه الحياة الزائلة، إذ تراه يبوح عن هذا المعنى حين يقول :

وَعَظَتكَ واعِظَةُ القَتيرِ وَنَهَتكَ أُبَّهَةُ الكَبيرِ
وَرَدَدتَ ما كُنتَ اِستَعَر تَ مِنَ الشَبابِ إِلى المعيرِ
فالآن صرن إلى النهى وبلوت عاقبة الأمور(٢)

(١) آل عمران، الآية ١٨٥

(٢) أبو نواس، ديوانه، ص ٤٦٦

وتراه ينقلك في لفتة فنية بديعة يعاتب فيها نفسه المسرفة، بعد أن فنى عمره، ولم يكتسب غير الزيادة والإكثار من الذنوب، ولم ترعوى نفسه عن اقتراف اللذات والآثام علما بأن حسابها يوم الحساب شديد، لكنها النفس البشرية التي لا تأبه إلا بالوقوع في المآثم وهى تعلم أن سبيلها محتوم، ومنيتها محتومة، يقول :

أَفنَيتَ عُمرَكَ وَالذُنوبُ تَزيدُ وَالكاتِبُ المَحصي عَلَيكَ شَهيدُ
كَم قُلتَ لَستُ بِعائِدٍ في سَوأَةٍ وَنَذَرتَ فيها ثُمَّ صِرتَ تَعودُ
حَتّى مَتى لا تَرعَوي عَن لَذَّةٍ وَحِسابُها يَومَ الحِسابِ شَديدُ
وَكَأَنَّني بِكَ قَد أَتَتكَ مَنِيَّةٌ لا شَكَّ أَنَّ سَبيلَها مَوروُدُ(١)

هذه هي الدنيا التي أوردته إلى المهالك بالانغماس في ملذاتها، واقتراف ذنوبها، فتصارع الخير والشر بينه وبين نفسه، لتخرج لنا هذه الأبيات المؤثرة.

وما أروع تصوير أبى نواس وقد وافته منيته وقد قصّر في عمله، كأنه يخاطب غيره ليعظه بأسلوب مغاير مؤثر، فيقول:

سَهَوتُ وَغَرَّني أَمَلي وَقَد قَصَّرتُ في عَمَلي
وَمَنزِلَةٍ خُلِقتُ لَها جَعَلتُ لِغَيرِها شُغُلي
يَظَلُّ الدَهرُ يَطلُبُني وَيَمضي بي عَلى عَجَلِ
فَأَيّامي تُقَرِّبُني وَتُدنيني إِلى أَجَلي(٢)

(١) نفسه ص ٦١٩

(٢) السابق، ص ٦١٤

إن النواسي يؤكد على حقيقة مهمة في أبياته: وهى أن اليوم والغد سينقضيان لا محالة بعد السهو والغرور بالأمل والتقصير في العمل وشغله بالدنيا وارتكانه إليها وغير ذلك مما أورده في أبياته، كما يؤكد على انقضاء أيامه وسرعان مضيها، كل ذلك يدنيه من أجله ويقربه من لقاء الله ـ عز وجل ـ لذا وجب على الإنسان أن يغتنم الطاعة، فطاعة الله عز وجل ـ خير للفتى من قضاء شهوته التي تقضي عليه مع مرور الزمن:

أَيَّةُ نارٍ قَدَحَ القادِحُ وَأَيُّ جِدٍّ بَلَغَ المازِحُ
للهِ دَرُّ الشَيبِ مِن واعِظٍ وَناصِحٍ لَو سُمِعَ الناصِحُ
يَأبى الفَتى إِلّا اتِّباعَ الهَوى وَمَنهَجُ الحَقِّ لَهُ واضِحُ
فَاسمُ بِعَينَيكَ إِلى نِسوَةٍ مُهورُهُنَّ العَمَلُ الصالِحُ
لا يَجتَلي الحَوراءَ مِن خِدرِها إِلّا امرُؤٌ ميزانِهِ راجِحُ
مَنِ اتَّقى اللهَ فَذاكَ الَّذي سيقَ إِلَيهِ المَتجَرُ الرابِحُ
شَمِّر فَما في الدينِ أُغلوطَةٌ وَرُح لِما أَنتَ لَهُ رائِحُ(١)

في زمن الشباب يلهو الإنسان ويمزح، ولكن في لحظة يتوقف حينما يأتي النذير باقتراب الأجل وهو الشيب، فالتوبة وطريق الحق تصل بك إلى جنات ربك ـ سبحانه وتعالى ـ ، فتفوز بالحور العين، فمهرهن: العمل الصالح في الدنيا، ومن اتقى الله ـ عز وجل ـ فقد فاز وربح،

(١) السابق، ص ٦١٨

قال ميمون بن هارون: قال لي إبراهيم بن المنذر: قال الجاحظ: "لا أعرف من كلام الشعر كلاما ما هو أوقع ولا أحسن من كلام أبي نواس: أية نار قدح القادح"(١)

ثم يختم بالتحفيز للعمل الصالح والفوز بما سبق من ملذات الآخرة.

لذا يجب على الإنسان أن يكون حذرا من غرور الدنيا واستقطابها له، ومن علامات غرورها أنها أوردت الإنسان إلى مورد الكبر الذي يودي بصاحبه إلى جهنم وبئس المصير، ولو تدبر الإنسان لما تعلق بنعيمها الزائل، ولما نازع الله ـ عز وجل ـ في صفة من صفاته ـ جل جلاله ـ، وهذه المقطوعة من أبدع ما قال أبو نواس؛ إذ تعد صالحة لكل زمان ومكان:

لا تَفرُغُ النَفسُ مِن شُغلٍ بِدُنياها ... رَأَيتُها لَم يَنَلها مَن تَمَنّاها

إِنّا لَنَنفَسُ في دُنيا مُوَلِّيَةٍ ... وَنَحنُ قَد نَكتَفي مِنها بِأَدناها

حَذَّرتُكَ الكِبرَ لا يَعلَقكَ ميصَمُهُ ... فَإِنَّهُ مَلبَسٌ نازَعتُهُ اللهَ

يا بُؤسَ جِلدٍ عَلى عَظمٍ مُخَرَّقَةٍ ... فيهِ الخُروقُ إِذا كَلَّمتَهُ تاها

يَرى عَلَيكَ بِهِ فَضلاً يُبينُ بِه ... إِن نالَ في العاجِلِ السُلطانَ وَالجاها

مُثنٍ عَلى نَفسِهِ راضٍ بِسيرَتِها ... كَذَبتَ يا خادِمَ الدُنيا وَمَولاها

إِنّي لَأَمقُتُ نَفسي عِندَ نَخوَتِها ... فَكَيفَ آمَنُ مَقتَ اللهِ إِيّاها

أَنتَ اللَئيمُ الَّذي لَم تَعدُ هِمَّتُهُ ... إيثارَ دُنيا إِذا نادَتهُ لَبّاها

يا راكِبَ الذَنبِ قَد شابَت مَفارِقُهُ ... أَما تَخافُ مِنَ الأَيّامِ عُقباها(٢)

(١) البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٧، ص٤٤٢

(٢) السابق، ص ٦١٣

وحقاً: لقد تفنن أبو نواس في رسم صورته البديعية التي كشفت عن سمات وملامح الإنسان الذي تسيطر عليه هذه الصفة الذميمة التي لا يحبها الله ـ عز وجل ـ فالكبر: رداء الله ـ جل جلاله ـ ولا ينازعه فيه أحد، وقد أسرف الشاعر في توضيح هذه الصفة إسرافا مستعذبا كما ورد في تضاعيف اللوحة السالفة، حيث راح يحذرنا من الكبر وعواقبه فهو ملبس نازعته الله ـ عز وجل ـ

ويحذرنا أيضا وبضراوة من الحديث إلى النفس والإعجاب بها وبسيرتها، وكيف أن الإنسان بطريقته هذه يكون لئيما معجبا بدنياه إذا نادته لبّى، ولم يكن على حذر من عواقب الأيام وتقلباتها، فهذه الدنيا لا تبق على أحد، ولا يدوم على حال لها شأن .

لقد استطاع أبو نواس من خلال ما سبق أن يجعل القارئ والمتابع لشعره أن يمقت الدنيا مقتا شديدا ويتجه إلى ربه ـ سبحانه وتعالى ـ متجردا من رداء الكبر والقسوة والالتحاق بالدنيا :

مَتى تَرضى مِنَ الدُنيا بِشَيءٍ إِذا لَم تَرضَ مِنها بِالمِزاجِ
أَلَم تَرَ جَوهَرَ الدُنيا المُصَفّى وَمَخرَجَهُ مِنَ البَحرِ الأُجاجِ(١)

وتجد النواسي يخاطب نفسه زاجرا إياها، رادعا لها عن كونها تنشغل بملذات وطيبات الدنيا الزائلة التي تتحول إلى أصلها ذي المذاق المر المالح، فتجده يكشف عن سر التحول حين يقول :

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع لك المال فما تدري لمن تجمع

(١) السابق، ص ٦١٠

ولا تدري أفي أرضك أم في غيرها تضرع

إنه يدفعنا إلى ترك الحرص على الدنيا، وما على الإنسان إلا أن يعيش فيها بلا طمع، ولا نَهم لجمع المال، فلا يدري الفرد لأي إنسان يجمع ماله، وكذلك لا يدري في أي أرض يكون مضجعه، وتكون رقدته ونهايته، وهي تحمل في طياتها دعوة لعدم الحرص على الدنيا والتمسك بها فهي دار عمل وابتلاء، أما الآخرة فهي دار وفاء وجزاء.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التي جابت الشعر النواسي في جانب من جوانب شعره وهو: دلالات الزهد – إلى حد ما – يمكن التوصل من خلال الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها :

- استطاع النص الشعري عند أبي نواس أن يحقق حضوره على مستوى الشعر العربي القديم ، وأن يرفع اسم صاحبه بين طبقات الشعراء المتقدمين، لا سيما من خلال خمرياته وغزله، وهما الغرضان اللذان يمكن أن يقول هذا البحث: إنهما النص الخاص للشاعر، النص الذي يصدر عن طبع وهُوِيَّةٍ، وعن قوة بناء وشعرية.
- يكشف النص النواسي عن إرادة في التغيير، وثورة على الواقع، ورفض للسائد؛ تجسدت في صورة أخرى وبشكل مباشر، وغير مباشر في طريقة بناء النص، وأساليب افتتاحه، وطرائق تشكل دوائره ومحاوره، وفي تكثيفه إلى أقل تركيب ممكن، مع أكثر طاقة شعرية ممكنة، في أغلب نصوص أغراضه الثلاثة الرئيسة .
- أن للشاعر أبي نواس فرائد إسلامية نادرة يستشهد بها في الخطب وعلى المنابر الإسلامية.
- أن أبا نواس شاعر إسلامي ختم حياته بالتوبة والإنابة إلى الله ـ عز وجل ـ راجياً مغفرته وعفوه.
- أن أبا نواس سريع الإنابة والتوبة والتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ في كل زهدياته.
- أن أبا نواس يخاطب نفسه ويعاتبها في أغلب زهدياته، وفي الوقت نفسه: مؤثر في غيره بأسلوب بديع.
- أن زهديات أبي نواس تجعلك تحاسب نفسك، وتتذكر ما سيؤول إليه حالك بعد الموت، فلا تملك إلا الرجوع إلى الله لتنسى هذه الدنيا الزائلة.

- أنا أبا نواس يملك حسا مرهفا ومقدرة شعرية مؤثرة لكل من يقرأ زهدياته.
- أن أكثر النقاد والعلماء والشعراء السابقين واللاحقين شهدوا بعلمه وشعره وفقهه.
- أنه لا يجوز الحكم على الشاعر من خلال بعض قصائده دون الاستقصاء الكامل لشعره وسيرته.
- أن باب الرحمة واسع، ورحمة ربي وسعت كل شيء، فكثير من السير أصابها التحريف والتزوير، وأدخل عليها ما ليس فيها.

وبجملة النتائج التي ختمت بها دراستي أكون قد وصلت إلى مختتم الدراسة، وهى محاولة جادة أرادت أن تدلى بدلوها في شاعرية شاعر يمتلك ناصية القول ولدية المقدرة الشعرية سواء أكان ماجناً في شعره في فترة من فترات حياته وركونه إلى الزهد وارتياد آفاقه ومجالاته كما رأينا ملامح ذلك ودلالاته في تضاعيف البحث.

وبهذه النتائج أختتم الدراسة ومن الله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن المعتز، طبقات الشعراء، دار المعارف، مصر، د.ت، تح عبدالستار أحمد فراج.

٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الثقافة، لبنان تح إحسان عباس.

٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

٥. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار المعارف، القاهرة – ١٩٥٨م، ط٢، تح أحمد محمد شاكر.

٦. ابن منظور، أخبار أبي نواس، تح محمد عبد الرسول ط١ البستاني ٢٠٠٠م.

٧. أبو زيد، علي إبراهيم، زهد المجاني في العصر العباسي، ١٩٨٦م، بيروت، دار الثقافة للطباعة والنشر.

٨. أبو نواس، ديوانه، تح أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.

٩. الأصبهاني، أبو الفرج، ملحق الأغاني (أخبار أبي نواس)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، تح علي مهنا وسمير جابر.

١٠. الأندلسي، أحمد بن محمدبن عبد ربه، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م ،ط٣.

١١. البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين، الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار، المكتب الإسلامي، دار الخاني، بيروت، ١٩٩١م، ط١، تح: د.علي حسين البواب.

١٣. الزبيدي، صلاح مهدي، دراسات في الشعر العباسي، ط ١، ٢٠٠٤م الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع.

١٤. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، أخبار أبي القاسم الزجاجي، دار الرشيد للنشر، العراق،١٩٨٠م ، ط١، تح: د.عبد الحسين المبارك.

١٥. العباسي، الشيخ عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م، تح محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٦. العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله ، المصون في الأدب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٤م، ط٢، تح عبد السلام محمد هارون.

١٧. العقاد، عباس محمود، أبو نواس: الحسن بن هانئ، بيروت: منشورات المكتبة العصرية

١٨. الغزالي، محمد، خلق المسلم، ١٩٩٤م، ط ٥، الإسكندرية، دار الدعوة.

١٩. خليف، يوسف تاريخ الشعر في العصر العباسي، (د.ت)، ط ٢، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر.

٢٠. درويش، العربي حسن، أبو نواس وقضية الحداثة في شعره. الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ / ١٩٨٧ م

٢١. صدقي، عبدالرحمن، أبو نواس قصة حياته وشعره، ١٩٤٤م، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.

٢٢. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، ١٩٩٩م، ط ١٥، القاهرة، دار المعارف.

٢٣. عطوي، علي نجيب، شعر الزهد في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ١٩٨١م، ط ١، بيروت، المكتب الإسلامي.

٢٤. لجنة التحقيق في دار القلم العربي، تاريخ شعراء العربية، دار القلم العربي، د.ت، د.ط، مراجعة أحمد عبد الله فرهود.

٢٥. ناصف، مصطفى، دراسة الأدب العربي، مصر/ دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٣م

٢٦. هدارة، محمد مصطفى، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني عشر، ١٩٨٨م، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلوم العربية.